

# الصحافة الإصلاحية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجاً

د. معيوش براهيم

دكتوراه العلوم من جامعة الجزائر (٢)

أستاذ بجامعة سطيف (٢)

الجمهورية الجزائرية



## مُلخَص

لقد أسفرت القفزة المُتطورة التي حققتها المجتمعات الحديثة في أكثر من صعيد عن ظهور الصحافة التي تُعَدُّ الجرائد من أهمها، كونها تتيح مجالاً واسعاً للحديث عن ما يُرافق المجتمع من أزمات ومشاكل وأنها أيضاً قنوات لنقل الأخبار وتبادل الأفكار، لكن على الرغم من أهميتها إلا أن الجزائر لم تعرف هذه الظاهرة إلا مع مطلع القرن العشرين أين توالى صدور الصحف على أيدي الأفراد والأحزاب السياسية والجمعيات الثقافية والدينية تنوعت حسب مجالات اهتمامها من بينها الجرائد التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهي كلها ذات طابع ديني تم اعتمادها كوسيلة فعالة لتنمية العقول من خلال إلقاء الفارئ في بحر من الأفكار الدينية الإصلاحية وقد استطاعت أن تجد باباً مفتوحاً إلى الجزائريين حيث شدت أنظارهم وكانت لهم بمثابة سُعلة نُضيء الطريق أمامهم والاستعمار مُخَيِّمٌ عليهم بظلمه وظلامه. وقد اتضح أن الجرائد الإصلاحية التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين في ظروف قاسية جداً بصرف النظر عن قوة التأثير أو ضعفه تُعَدُّ مرجعاً من مرجعيات العظة العقلية والروحانية وكذلك غطاءً واقئياً من تطلُّعات واليدولوجيا الاستعمارية لصتُّها كل الاهتمام على نشر الوعي الديني وأخبار العالم الإسلامي بزمته، وكذلك لدعوتها أفراد المجتمع الجزائري إلى الدفاع عن ثوابته وقيمه وأصالة تراثه بنشر المقالات والخطب التي تُهَيِّئهم نفسياً للتخلُّص من سيطرة موجة الفرنسية والتغريب ويهتدي إلى الطريق الذي يُمكنه من الخطو بخطوات ثابتة نحو النهضة يكون أساسها العلم الصحيح والإيمان بالذات والعودة إليها.

## كلمات مفتاحية:

الصحافة، الجرائد الإصلاحية، جمعية العلماء المسلمين، الحقبة الكولونبالية، تاريخ الجزائر الحديث

## بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٠٧ ديسمبر ٢٠٢٠  
تاريخ قبول النشر: ١٥ فبراير ٢٠٢١

DOI 10.12816/KAN.2021.221898 معرف الوثيقة الرقمي:

## الاستشهاد المرجعي بالمقال:

معيوش براهيم، "الصحافة الإصلاحية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية: جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجاً". دورية كان التاريخية، - السنة الرابعة عشرة- العدد الحادي والخمسون، مارس ٢٠٢١، ص ١٣١ - ١٣٨.

Twitter: <http://twitter.com/kanhistorique>

Facebook Page: <https://www.facebook.com/historicalkan>

Facebook Group: <https://www.facebook.com/groups/kanhistorique>

Corresponding author: [mayouchebrahim@gmail.com](mailto:mayouchebrahim@gmail.com)

Editor In Chief: [mr.ashraf.salih@gmail.com](mailto:mr.ashraf.salih@gmail.com)

Egyptian Knowledge Bank: <https://kan.journals.ekb.eg>

**Open Access** This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made. نُشرت هذه الدراسة في دورية كان التاريخية للأغراض العلمية والبحثة فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع للأغراض تجارية أو ربحية.

## مُقَدِّمَةٌ

"جريدة الجزائر" ولم يصدر منها إلا عددان فقط يُعاود الكرّة بعد خمس سنوات بإصداره جريدة "ذو الفقار" جاء في افتتاحية عددها الأوّل ما يلي: "ذو الفقار يُبارز الأَغنياء المُقصرين الذين يُريدون أن يجعلوا مخلوقات الله وأنظمة الكون آلات يستجلبون بها منافع لهم"<sup>(١)</sup>، ونشر مثل هذا الكلام التهجّمي الحاد على الاستعمار وأذنابه من الجُدام الخاذلين للأمة كان داعيا كافيا لتفقد الإدارة صوابها وينفذ منها صيرها على هذه الجريدة فأسكتتها بعد صدور العدد الرابع فقط<sup>(٢)</sup>، ثم بعيدًا عن العاصمة وبالتحديد في قسنطينة وتقريبا في نفس الفترة صدرت جريدة "النّجّاح" وقّع شهادة ميلادها عبد الحفيظ بن الهاشمي واشترك معه ابن باديس في تأسيسها والكتابة فيها لينفصل فيما بعد عنها<sup>(٣)</sup> وفي نفس السنة صدرت صحيفة شهرية بالعاصمة على يد عمر بن قذور بعنوان "الفاروق" واستمر صدورهما لمدة عامين ثم تبعتها صحف أخرى كالصديق ولسان الدين والإقدام وكلها كانت تنشر مقالات سياسية واجتماعية ودينية تختلف باختلاف حرارة وحماسة مؤسسيها<sup>(٤)</sup>.

انطلاقًا من أنّ لكل جريدة شخصية تُميّزها عن غيرها من الضّحف وتُحدّد سياستها التحريرية من جهة وجُمهور القُراء الذي تُخاطبه من جهة أخرى، فإنّ عشرينيات القرن الماضي عرفت فيها الصحافة الجزائرية نوعا جديدا من الضّحف وهي الضّحف الإصلاحية ذات التوجه الديني التي حاولت منذ نشأتها أن تعكس ما يمرّ به المجتمع الجزائري من أحداث وما يستجديه العالم من تغيّرات وقد كانت تلك الضّحف بمثابة لسان حال البلاد يُعبّر عن حاضرها ويتطلع إلى مُستقبلها، والحديث عن هذا النوع من الجرائد نستهلّه بجريدة المُنتقد التي صدرت في منتصف العشرينيات، أسّسها عبد الحميد ابن باديس لتدعو إلى النهضة بأسلوب وحماس واضحين وقد توقّفت بعد أربعة أشهر بقرار من وزارة الداخلية<sup>(٥)</sup>، لتخلفها جريدة الشهاب التي تزامن ظهور أعدادها الأولى مع فترة مُحاولة تأسيس الجمعية الإصلاحية المرجّوة ما جعلها مُهتمة بالحديث في صفحاتها عن كلّ ما يتعلّق بأعمال المُقتنعين بالإصلاح، ولعلّ أبرز ما قدّمته هذه الصحيفة من نفع للمجتمع الجزائري هي نقلها لدروس التفسير القرآني والحديث النبوي الشريف التي كان يُقدّمها رئيس الجمعية ابن باديس بعنوان "مجالس التذكير من كلام البشير النذير"<sup>(٦)</sup>، وفي نفس الفترة ظهرت صحيفتان إسلاميتان في بسكرة ظهرت الأولى سنة ١٩٢٥م تحت عنوان "صدى الصحراء" وكان رئيس تحريرها أحمد بن عابد العُقبّي وبعد توقّفها صدرت في نفس الولاية الجريدة الثانية حملت عنوان جريدة "الإصلاح" أنشأها

ظهر للوجود بالجزائر مع مطلع القرن العشرين ذات توجه ديني إسلامي عني أصحابها بنشر التيار الإصلاحية بمعانيه الواسعة، وقد عرفت نشاطًا وتطورًا مستمرين حتى تم تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مطلع الثلاثينيات أين استطاع المبادرون بها استجماع الجهود فأصدروا عدة جرائد أرادوها لتكون منابع فكرية تثقيفية صافية تُصحح عقائد الجزائريين الدينية وتُعلّمهم التشبث بثقافتهم والدفاع عنها، لكن لم يكن للإدارة الاستعمارية أن تترك هؤلاء ينشطون بحرية تامة حيث كانت تلك الجرائد تُصادر مخافة أن يصل صداها إلى الجماهير الشعبية، وسنحاول من خلال هذا المقال الوقوف عند حقيقة تأثيرها على الجزائريين من خلال الإجابة عن بعض الأسئلة كانت ولا تزال تدور في أذهان ذوي النزعة التشكيكية القائلين بنفعها المُحجم لُروجها عن المسار الذي تطلّع إليه طاقمها من جهة، ومن جهة أخرى في أذهان المُغالين في فكرة شدة تأثيرها باعتبارها مُنعرجًا حاسمًا في تاريخ الصحافة بالجزائر وأنها كانت بمثابة مدرسة للبناء الحضاري الفكري الأصيل، لكن قبل ذلك رأينا أن نشير إلى عنصرين إثنين نتحدث في أولهما عن الصحافة الناطقة باللغة العربية بالجزائر في تلك الفترة المأزومة، ثم نذكر الجرائد التي أصدرتها الجمعية في تلك الظروف القاسية، لننتهي في الأخير بتقييمها وبيان مدى تأثيرها على أفراد المجتمع الجزائري.

## أولاً: الصحافة الناطقة بالعربية في الجزائر إبان الحقبة الكولونيلية

لم تشهد الجزائر ظهور الصحافة الناطقة بالعربية إلا مع بداية القرن الماضي حيث ظهرت بعض الأقلام الضّحفية التي جتّدها أصحابها ليُخوضوا بها الخطوب في نقد الإدارة، ولقد استطاع هؤلاء أن يفتحو صفحات جديدة من تاريخ الصحافة بالجزائر ففي فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى شهدت البلاد بُرُوز ضّحف عربية اللسان والأفكار كانت أكثر إثارة تصدّر بالعاصمة كصحيفة المغرب النصف أسبوعية التي أثنى عليها المُصلح محمد عبده أثناء زيارته للجزائر قائلاً: "إنّها تُمثل بالنسبة للجزائريين شُعاعاً مُضيئاً نظراً لجرمانهم من الضّحف الناطقة باسمهم وبلغتهم القومية"<sup>(٧)</sup>، وجريدتي عمر راسم أحد المُصلحين الجزائريين المعروف بصوته الجريء على الاستعمار وبين مكيدته في السعي لفرنسة الجزائر ومحو هويتها، صدرت الأولى منها بتاريخ السابع عشر من شهر أكتوبر ١٩٠٨م بعنوان

يوماً لتكون أقصر الجرائد عُمرًا وطبعًا لم يكن ذلك من تلقاء نفسها أو لغياب مصادر التمويل التي تُساعدها على التطور والرواج ليلبغ صداها الفزء وإنما بقرار من الحكومة الفرنسية التي رأت في لهجتها نوعًا من التهجم والانتقاد لها، ثالث الصحف التي استطاعت الجمعية إصدارها على الرغم من المضايقات هي "الصراف السوي" التي صدر منها سبعة عشر عددًا ظهر أولها بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٣٣م واستمرت في الصدور حتى الثامن من جانفي ١٩٣٤م<sup>(١٢)</sup>، وكان السبب في منعها من الصدور أيضًا إحدى القرارات التعسفية للإدارة التي لا تتحمل لا نقدًا ولا معارضة، وبطبيعة الحال كان على الإدارة أثناء غلق هذه الجرائد التحجج بأن تلك الصحف خالفت القوانين المعمول بها، وأنها أيضًا مخيبة لآمال الحكومة إلى حد بعيد لنشر شائعات فيها عند الأهالي تجعلهم يفقدون ثقتهم بالإدارة، فيدخلون بذلك الحقل السياسي الذي أشارت الجمعية في مبادئها لأول عهدا من أنها ستظل بعيدة عنه وكأن الفرنسيين بهذا كانوا يتوهّمون بأن تلك الجرائد ستتضمن آراءً وأقوالاً تجهز بأن كل الأمور في الجزائر تسير على نحو جيد ووتيرة مقبولة.

وقد بقيت الجمعية بلا جرائد وفقدت صلتها بالفزء ما يقارب سنتين كاملتين وعلى الرغم من أنها ألغت سياسة الجور هذه والمعاملة السيئة بوضع جرائدها تحت المجهر ومنعها من ممارسة نشاطها في حرية دون ضغوط إلا أنّ هذه المرة تمّ العمل على قمعها بأعلى الوتائر لتبديد كل الأوهام حول فرص الإصلاح فكانت الضربة قوية إذ عقب قرار التوقيف هذا أصدرت الحكومة التي كان يرأسها (جون ميرانت) قرارًا آخر في منتهي التعسف وهو حرمان الجمعية مهما كان الحال من إصدار صحيفة لها أو باسمها مُستقبلًا إلى حين إشعار آخر، وما كان لهذا أن يُثبّط من عزيمة رجال الجمعية حيث بقيت أعينهم على الدوام شاحصة إلى الأفق يتحسّون الفُرص لإسقاط القناع عن الاستعمار ومطالبته بوقف ممارسته الوحشية وكذلك في تثوير الفكر الرّائد والوعي المُغتال لأفراد المجتمع الجزائري، حتى جاءت الفُرصة الحاسمة برجيل (ميرانت) من على رأس الولاية العامة واستخلافه بمدير جديد (ميو) فاستغلّ ابن باديس وفريقه الحدث وقدموا لهذا الأخير طلبًا يتضمّن منحهم الحقّ في إصدار جريدة وعبروا له في طلبهم أنّ القصد هو العناية بتربية الشعب وتهذيبه وتعليمه لغته بعيدا عن السياسة فمنحهم الفُرصة التي أملوا في الحصول عليها لتظهر جريدة "البصائر" في سبتمبر ١٩٣٥م<sup>(١٣)</sup>، تزامنًا مع إحدى كُبريات شعائر المسلمين وهي عيد الفطر ليكون لها وقعٌ حسنٌ في نفوس المُقتنعين بالتغيير

الشيخ الطيب العُقبى عام ١٩٢٧م ولم يصدر منها سوى بضعة أعداد لظروف مادية بحتة<sup>(١٤)</sup>، وعلى العموم فإن العُشورية الثانية من القرن الماضي مثلت أرضية خصبة ظهرت فيها العديد من الضّحف الدافعة في تيار الإصلاح كالمرصاد والليالي وأبو العجائب والوفاق والحارس والدفاع التي كانت تصدر باللغة الفرنسية<sup>(١٥)</sup>، وقد كان هذا النوع من الصحافة يدعو إلى العلم والعمل اللذين يُعيدان للعربية بعضًا من تاريخها العاثر في بطن الكتب المهجور من أبنائه، وقد تعرّضت كلها في صفحاتها إلى كل ما يُحي الضمائر والنفوس، ففي شأنها وبيان قيمتها وأهميتها قال أحمد الشادلي صاحب مجلة "الإسلام" ما يلي: "إنّ هذه الجرائد لها من الفضل ما يضيّق عن حصر نطاقه بيان كاتب وقلم شاعر إذ هي مصباحُ التّهوض ورائد الأمة، ربّت بنين وبنات هدّبت شيوخًا ورجال وهي السبب الأكبر للتّهوض<sup>(١٦)</sup>."

### ثانيًا: الجرائد الإصلاحية التابعة للجمعية

تُعتبر العشرينيات من القرن الماضي طورًا تمهيدياً للصحافة الإصلاحية في الجزائر وقد استطاع ابن باديس مع بعض من العناصر الذين إتقوا حوله ممن يُمكن اعتبارهم آنذاك من خيرة الأقلام العربية في الجزائر تأسيس صحيفتي "المنتقد والشهاب" لكن شرعان ما تعرّضتا للغلق ومنع الصدور وبقي الأمر على حاله حتى التأسيس الفعلي للجمعية وتلقاها الموافقة على نشاطها من طرف الإدارة الاستعمارية، ولما كانت الصحافة ظاهرة حضارية تُواكب تطوّر المجتمعات وتعكس ضورها مؤثّرة ومُثأثّرة بحركة هذا التطوّر ولها من الوزن والقيمة ما ليس هو بخاف عن رجال الجمعية عاودا التفكير من جديد في إصدار ضحف لتسهم وتضطلع بدور هام في تمرير أفكار التيار الإصلاحي إلى أفراد المجتمع الجزائري، وبالفعل بعد مرور سنتين من التأسيس أصدرت الجمعية أولى ضحفها تحت عنوان "السنة النبوية" لتجتهد في تعبئة النفوس بزروح المُقاومة ومُناهضة الاستعمار، ولكن هيبات لفرنسا أن تسمح بذلك وفي الأفق بدأ المُتقفون بالثقافة العربية هُجومهم بسلاح الكلمة إذ من دون إخطار لجأت مباشرة إلى غلقها بعد أن صدر منها آخر عدد بتاريخ ١٠ ربيع الأول من سنة ١٣٥٢هـ<sup>(١٧)</sup> خشية أن تُخلخل عقول الجزائريين التي استسلمت لمخدر الأفكار السامة الهدامة.

وفي السنة نفسها تمّ إصدار جريدة جديدة لتُشيع الاتجاه الإصلاحي ولتُحارب البدع التي تروّجها الحركة المرابطية أُنخِر لها اسم "الشريعة النبوية" للدلالة على احتفائها بالعقيدة الصحيحة، لكنها توقفت هي أيضًا بعد مُدّة لا تتجاوز الأربعين

الاستعمار عليه، فالصحف في هذا المجال يُمكن أن تُمثل سلاخًا فعّالًا في الصراع الإيديولوجي مع الإدارة ويستطيع العاملون فيها تحقيق المشاركة الشعبية في تغيير الأوضاع وقلب الإحساس بالشؤم والضياع إلى إحساس بالوجود والثقة الكاملة في القدرة على صناعة مستقبل ناظر للجزائر.

إنّ حديثنا عن مدى تأثير الصحف الإصلاحية التي أسستها الجمعية سنحّضه بذكر جريدة البصائر التي ظهرت أخيرة حسب التسلسل الزمني لتواريخ التأسيس، وهذا ليس من جهة التقصير أو القصور وإنما مما نعتقده في الصحف الأخرى الصادرة قبلها (الشرعية، الصراط، السنة) من الثُور وقلّة تأثيرها بحكم أنها تُغلق وتُصدر ويتمّ إدخالها كهف النسيان قبل أن تعرف الرّواج ويصل صداها إلى القُرّاء لتؤدي رسالتها أحسن الأداء فما من شك أنّ هذه الجريدة التي كُتبت لها الحياة حتى أوقفها من بادر بها بالنسبة لسابقتها تُعد بمثابة واسطة العقد، إذ علّق عليها المُصلحون العاملون تحت ألوية الجمعية كل الآمال في الاستزادة من النّشاط التوعوي التثقيفي فقد جاء في إحدى مقالات الرأي التي كتبها "فرحات بن الدراجي" أحد العاملين بها الأتي: "إنّ البصائر سيُطابق فيها الاسم المُسمى وسيكون لها من الذّيوع والانتشار ما لم يحصل لأيّ جريدة قبلها لأنها طلعت على الأمة بعد شوق عظيم وعلى الأدباء والعلماء بعد وقت طويل، إنها تحلّ على الأمة محلّ العين من الإنسان والرّوح من الجسد فسُتثير بصائرهم وتُرشدهم إلي سواء السبيل."<sup>(٧)</sup>

وللوقوف على صحّة هذا الكلام وقصد ألا يكون حديثنا مُتأثيا من فراغ ولا آراء يشوّنها المُثُول الذاتي أو التقييم الأخلاقي أثناء مُحاولتنا وضع هذه الجريدة في الميزان مع مُراعاة الفضاء الثقافي الذي كان يشود الجزائر حينذاك ارتأينا أن نعود إلي قراءة المجموعة الأولى من البصائر التي تحوي خمسين صحيفة صدرت ما بين ديسمبر ١٩٣٥م إلى جانفي ١٩٣٧م والتي تمّ جمعها من طرف محمد الحسن فضلاء أحد مُنتدبي الجمعية ورئيسها للتعليم والإدارة في المدارس الحُرّة على كامل التراب الوطني لتتكفل بطبعها دار البعث للنشر والطباعة، ولعلّ هذا الكمّ من الجرائد التي تُرَبو عدد صفحاتها عن الاربعمئة تُمكننا من معرفة مادتها وشكلها ومضمونها بشكل عام وتُساعدنا في تسليط الضوء على وظيفتها التي ارتاضها لها من بادرها بتأسيسها ألاّ وهي الوعظ والإرشاد وربط المجتمع بمصالحه ومُقوماته بتجديد الأفكار وإعادة الوازع الديني بالجزائر إلى جيد السكّة بعدما انحرف عنها.

الإصلاحي فقد جاء في عددها الثاني ما يأتي "استلمنا الرّخصة بإصدار البصائر في الأسبوع الأخير من شهر رمضان والأمة مُقبله على عيد الفطر، فتعجّلنا في إصدار العدد الأول منها يوم العيد ليكون أحد بشرات الأمة الجزائرية المُتطلّعة لرؤية جريدة جمعية العلماء"<sup>(٨)</sup>، ومنذ ذلك الحين ألف الجزائريون قراءة أخبارها ومُطالعة مقالاتها في يوم الجمعة من كل أسبوع.

تُعَدُّ هذه الجريدة أكبر الصحف الإصلاحية التي سجّلت حُضورا واسعا بالجزائر بما كان لها من تأثير على مشروع الإصلاح، كون أنّ صدورها لم يتوقف لسنوات عديدة إذ استمر القارئون عليها في تخريج أعدادها حتى شهر أبريل من عام ١٩٥٦م<sup>(٩)</sup>، وحتى أنها شهدت توقفا تزامنا مع بداية الحرب العالمية التي قضت على الحرث والتسلل إلا أنّ هذا التوقف ليس إجباريا ولم يَكُن بقرار من الحكومة الفرنسية كما ألف رجال الجمعية وإنما كان توقفا اختياريا إراديا تجنّبا لشتى أنواع الضُغوط والمساومات وخشية من أن تحتويها الإدارة وتستعملها في تعبئة الجماهير لحوض حرب لا جمل لهم فيها ولا ناقة كما يُقال ولا تعنيهم أصلا، فكما قال ابن باديس عن جمعياته أنها لا تُقدّم شواهد الإخلاص ولا تقوم بأي عمل من أعمال التملق للحكومة<sup>(١٠)</sup>، وهو قرار لم تكن الإدارة لتنتظره آنذاك وفي اعتقادنا أنها ردّ كاف من أعضاء الجمعية على تعامل فرنسا غير اللائق مع صحفها إذ أنّ قرار التوقيف الإداري هذا لو وضعناه في كفة ووضعنا كل قرارات التعطيل والتوقيف الفرنسية التي سبقت البصائر لاتزنزت الكفتان، ولم تتوقف الجمعية عند حدّ إصدار صحف ناطقة بالعربية بل تعدته إلى تأسيس جرائد باللغة الفرنسية أيضا عنوانها (الشباب المسلم)، وهي حُطوة تحتسب للجمعية ورجالها وتُصورهم حقيقة على أنهم مُحررّي الفكر من قُبود التقليد ومُخلصين للعقول من الجمود، كما أنها دليل صريح على فهمهم لنفسية وتركيبية المجتمع الجزائري فعلى الرغم من أنّ الجرائد التي أسستها كانت من جُملة أهدافها إعادة الاعتبار للغة العربية ووضعها في مكانتها اللائقة بها ما دامت في موطنها إلا أنّ ذلك لم يمنع من إقدامهم على هذه الحُطوة وفاء لكل الجزائريين مهما كانت لغة تعلّمهم، وكذلك دفعا عنهم لشبهة التعصّب والموقف السليبي من اللغة الفرنسية، فاللغة ما كانت لتُشكّل حجر عثرة أمام من اختاروا السير في درب الإصلاح لأنّ جدية هذا الأخير تقتضي العمل بأي وسيلة مهما كانت المُهمّ فيها أن تكون منفذا من المنافذ التي تُمكن من التغلغل إلي أعماق المجتمع الجزائري لتوعيته وبالخصوص بعد أن بدت عليه أمارات الخُضوع نتيجة شتى أنواع التسلط الذي كان يُمارسه

ضمان بقاء الفكر العربي بالأسلوب العربي التقني الحالي من شوائب اللغات الأخرى، فحتى لغة التخاطب اليومي (العامية) التي كانت تُشجَّعها الإدارة اعتبارًا من سهولة فهمها اجتنبوها بشكل مُطلق لئلا اختفى سحر البيان من ألسنة طلبة العلم الذين كانوا على إطلاع عليها من دُون شك، وعلى كلِّ فإنَّ استعمال هؤلاء للتعبير الحسن والعبارة الفصيحة لا غرابة فيه لأنَّ أكثرَيتهم كما سبق وأشارنا من ذوي الحُدَّة الذهنية والذاكرة القويَّة والاطلاع الواسع يكفي فقط أن تُشير إلى الشيخ البشير الابراهيمي الذي كان نائبًا للجمعية ثمَّ رئيسًا لها والذي شغل منصبًا لا يليقُ إلا بمن كان مُتقنا لفني الخطابة والنثر ومُجيدًا فيهما ألا وهو مُراسل المُجمِّع العربي بدمشق ثمَّ مُجمِّع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٤م<sup>(٩)</sup> فقد عُرف عنه تبحُّره في اللغة إذ لا يتردد ولا يتكلَّف مشقَّة أتناء الحديث بها وإنما يفعل ذلك عن سعة وارتياح وعلى شاكلته كان مُعظم العاملين معه في فريق تحرير البصائر.

من الأشياء التي تشدُّ الانتباه حقيقة في هذه الجريدة التي كانت تطلع على القُرَّاء نهاية كل أسبوع في أوَّل عهدها تلك المقالات والخطابات التي كانت تبدو أكثر تسامحا ولينا مع الإدارة الفرنسية بعد أن كانت الصحف الصادرة قبلها أكثر حماسا وعدائية لسلطات الاحتلال، فقد جاء في كثير من أعدادها الأولي ما يتضمَّن ويوجي بمُصاحبة العلماء للإدارة وعلى الرغبة في التعاون من أجل تجديد ما بلي في ثقافة المُجتمع الجزائري والرَّقبي به إلي مصاف الأمم الناهضة، فالمتصفح لها سيجد ذكرًا مُتكرراً على أنَّ الجزائر فرنسية وأنهما مُرتبطتان وأنَّ أبناء الجزائر وفرنسا مُتآخين والأمثلة كثيرة لا يتسَعُّ المقام لذكرها لذلك سُدِّرج بعضا منها فقط ليتضح المقال.

"... إذا نظرتهم وتأمَّلتهم حمدتهم لهذه الجزائر الفتية نهضتها وتمسَّكها بفرنسا وارتباطها القوي بها وعدّها نفسها جزءا منها ..."

"... لا تنهض الجزائر إلاَّ تحت كنف فرنسا، يدها في يدها فتاة لها من الجمال والحيوية ما لكل فتاة أنجبها لوريثها مثل تلك الأم (فرنسا)..."

"... حتى يقف المسلم الجزائري مع أخيه من بقية أبناء فرنسا على قدم المساواة الحقَّة التي تكون أوَّل ثمراتها الاتحاد الصحيح المنشود للجميع..."<sup>(١٠)</sup>

ومثل هذه الآراء والتصريحات تقبل تأويلات عديدة يُمكن أن تتضارب فظاهرها يبدو أنَّ الجمعية واثقة في الإدارة الاستعمارية وتنتظر منها المؤازرة للخروج بالجزائر من دركها

ولمَّا كان العلماء المصلحون مُحبون وشغوفون بمطالعة جرائد إصلاحية لها نفس اتجاههم الفكري في بعض الدول الشقيقة التي تتواصل معها ثقافيًا والتي وجدوا فيها تجربة سابقة لتجربتهم، عمدوا إلى معاودة نشر بعض المقالات التي كتبها أكابر الدُّعاة المتميِّزين بالأسلوب الرائع واللِّفَات العميقة وبالخصوص تلك التي تُدافع عن الإصلاح وتُسقِّه آراء الخُصوم من أديعاء التصوف التَّاقمين على الجمعية والذين لم يروا حاجة الأمة في أمثالها من الجمعيات التي تقوم على مبادئ سامية ويهدف مؤسسوها من المُثقفين والعلماء إلى ترقية المُجتمع، وقد عبَّت البصائر بسير أعمال الجمعية ونشرت كل ما تُسفر عنه الاجتماعات العامة من قرارات ضامًا لاتساع دائرة الإصلاح، حتى إننا لنجد في أعداد كثيرة منها قضا وسردًا بأسلوب رومنطقي لسفرات حاملي ألويتها الذين كانوا يقدِّمون إلى نواحي مُختلفة من القطر الجزائري بحواضره ومدائمه مُبتغين من وراء ذلك الوعظ ونشر التعليم العربي الخُر بها، ولمَّا انعقد المؤتمر الإسلامي وتوجَّه أعضاء الجمعية القاعديين إلى فرنسا لإسماع نواب برلمانها صوت الجزائريين تابعت البصائر كل صغيرة وكبيرة عن الوفد ونقلت كل مُجريات الاجتماعات التي جمعت ما بين العلماء ومُمثلي السلطة الفرنسية ضامًا لعدم تزييف الحقائق وتحريفها عن مواضعها.

أما أسلوب هذه الصحيفة في التعبير فهو أسلوب مختلف عن الذي تتعارف عليه أو نقرأه في أيامنا هذه فما يشدُّ الانتباه فعلا بعد قراءة بضعة أعداد منها تلك العناية الفائقة والاهتمام الذي أولته فرق التحرير للجانب اللغوي الذي يبدو أقرب إلى طابع الكُتب من الطابع الصحفي فقد كان أصحاب المقالات في تلك المرحلة ذوي حظِّ كبير من العلم باللغة العربية الفُصحى وقواعدها، الشيء الذي مكَّنهم من كتابة أجمل النُّصوص وأفصح الخطابات بلغة بليغة ذات اتصال وثيق بالثَّرات الأدبي العربي الأصيل قد لا يتمكَّن من استيعابها إلا من لهم معرفة عميقة بأساليبها السلسة وُراثتها اللُّغوي، على الرغم من أنَّهم لا يُخاطبون جماعات خاصة من القُرَّاء ولا تُخبة مُتميِّزة من النُّخب بل بالعكس تماما إذ كانت الآمال مُعلَّقة عليها لتحقيق أوسع انتشار للفكر الإصلاحي وأبعد تأثير له في حياة المُجتمع الجزائري وفي اعتقادنا أنَّ الدافع الذي دعاهم لذلك هو مُحاولتهم إعادة اللغة العربية إلي الواجهة وسدِّ شغف بعض من الطلبة المُحبين لها والراغبين في التَّفنُّن والوصف بها، حيث أنه بالإمكان لصحيفة جيِّدة أن تُقدِّم لقرَّائها ما تُقدِّمه الجامعة لطلَّابها من أنواع الثقافات<sup>(١١)</sup> وكذلك حرصهم الشديد على



الميلي) أمين مال الجمعية حيث نجد في كل عدد من أعداد جريدة البصائر مقالا بعنوان "الشرك ومظاهره" ومجموع هذه المقالات هي التي يتألف منها كتابه "رسالة الشرك ومظاهره" الذي عرف رواجاً في كثير من الأوطان الإسلامية حتى أصبح يُعدّ مرجعاً هاماً في نُصرة السنّة وإماتة البدع.

### ثالثاً: بيان مدى تأثير جرائد الجمعية على الجزائريين

على الرّغم من أنّ الصحف التي أصدرتها الجمعية من أجل أن تضع الفراء الجزائريين أمام الإطار الفكري لأعضائها وتُبَيّن لهم مضمون دعوتهم إلى التجديد والإصلاح، وعلى الرغم أيضاً من أنّها عايشت المجتمع هُموهه الصغيرة وقضاياه الكبرى واستطاع فريق تحريرها أن يُحرزوا نقلة نوعية بنقد العقلية الجزائرية وما يشودها من ثقافة بالية بالشكل الذي لم يستطع الغتاة من أذيال الاستعمار وساهموا بها في تخفيف ولو بعض من الأعباء الثقيلة لحياة أفراد المجتمع الجزائري الذين أرهقت كاهلهم مُخططات فرنسا الساعية في سبيل إلحاق الجزائر بها وجعلها قطاعاً تابعاً لها، إلا أنّ الإصلاح الذي كانت إحدى وسائله الصحافة المكتوبة لم يكن بالأمر الهين على الإطلاق فقد كان يهّب من حوله تيارات مُتصارعة فمن الجزائريين من كان يرنو إلى المذهب الكمالي ومنهم من يأخذ بالمذهب الوهابي وآخرون يزنون إلى التمدن الغربي ومنهم من ينحدر بفكره إلى مذهب المادة.<sup>(3)</sup>

كما أنه لو استندنا إلى الإطار الزمني الذي كانت تُصدر فيه الجمعية جرائدها نجد أنّ الجزائريين من الناحية النفسية ألقوا تحطيم التوابع من الرجال ويسود العوام نوعٌ من الخوف من الإدارة الاستعمارية التي تُهدّد بالسجن وشتى أنواع العقاب كل من يُحاول الخوض في مسائل تتعلق بمُعاداة الحكومة والتحرُّك السياسي ضدها لأنّه في نظرها كل من يعمل على نشر الوعي بين الناس مهما كانت طريقته أو وسيلته مُحَرَّضٌ لأبَد من يترصلته بالجماهير لئلا تتحول أفكاره إلى مطالب شعبية، ثم إنّ قراءة الجرائد ومطالعة المنشورات كان في تلك الحقبة يقتصر على النُخبة فقط بحكم أن جلّ الجزائريين كانوا لا يهتمون بالقراءة كممارسة حضارية الشاهد ما ذكره الطبيب (المارتيني فرانتز فانون) المُتعاطف مع الجزائريين ففي إحدى الرسائل التي بعث بها لأحد أصدقائه أخبره بسوء الحال الثقافية في الجزائر ودرجة التدهور التي تشهدها والتي تجاوزت كل الحدود إذ قال أنّه من بين ثلاثمائة جزائري واحد فقط منهم يُجيد التوقيع فإذا كان الأمر لا يتعدى التوقيع فما بالنا بالقراءة أو الكتابة<sup>(4)</sup>، فحتى لو

التأزل الشيء الذي جعل الكثيرين يتحاملون على رجالها ويتخذون منها ثعراً من الثّعور التي ينقمون منها عليهم، وداعياً من دواعي التشكيك في وطنيتهم وتلويثها لكن الحقيقة ليست كذلك فهذا الكلام لو تأيننا في طلب معناه نجدّه دليلٌ بيّنٌ على اعتبار هؤلاء الرجال (أعضاء الجمعية) بسياسة فرنسا التعسّفية التي تمنع التعبير والتفكير الحرّين، فمُجرد التفكير في أنّ فرنسا ستُساعد الجزائر وتضمن لها الاستقرار والرّقي تفكيرٌ خاطئ مُنكر لا يقبله الإنسان العاقل، فليس بخاف على الجميع أنّه لو أرادت فرنسا ذلك ما منعها شيء ولما انتظرت ما يربو عن قرن من الزمن فنشر مثل هذه الآراء قد يعتبرها من يطلع عليها الآن أنها خطيرةٌ وكاتبوها تجاوزوا الخطوط الحمراء، لكنّ الرّاجح في جُوبهم إلى مثل هذا الكلام ليس مُجاراة للاستعمار وإمّا مُراوغة له وخلطٌ لأوراق إدارته التي ستُكون لا محالة على إطلاع واسع بمثل هذه الأقاويل الشيء الذي يجعلها تبتعد عن مُراقبة نشاط الجمعية الضّحفي والتوقّف عن الإقدام على غلق الجرائد والرّج بالقائمين عليها في السجون، بالإضافة إلى أنّ هذا الخطاب بعدما حققت الجريدة استمرارية دامت سنوات تعيّر ولم يُصبح بنفس اللّهجة بحُكم ظهور عرائض فيها من وقت لأخر يُرسل بها رجال الجمعية إلى الحكومة داخلين بذلك مناطق كانت محظورة وهي نقد السلطة والاعتراض على مُخططاتها.

كانت مضامين هذه الجريدة مُتعددة ولم يغلب عليها الطابع الإخباري إذ ركزت على الشؤون الجديّة فبالإضافة إلى بعض من الأخبار كانت تحضّ في أحد جوانب صفحاتها مكان للحديث عن بعض الأدباء والعلماء الذين لهم قدرهم ووزنهم في العلم والأدب، كما فتح فيها مُحَرّروها صُورهم لكل من وجدوا فيه المُستوى المطلوب لمُعانتهم على الإنشاء والتحرير فكثيراً ما كان ينشر فيها الطلبة ممن يمتازون بحُضور البديهة ثمرات عقولهم التي كانت مُعظمها أدبية تتضمّن الشعر الذي لا يكاد يخلو أيّ عدد منها منه، والمقالات الثرية البديعة وكذلك الخطب الدينية التي يُرجي منها الوعظ والإرشاد ونقد الوضع الاجتماعي والثقافي السائدين وكلّ ما لا تحتمله الآداب والقيم الإسلامية، فمن هذا الجانب حوت هذه الجريدة مناشير وإعلانات للشعب الجزائري تستنكر بعض التقاليد المنكرة شرعاً كاستئجار الفراء على الميت والدعوة إلى إقامة الزردات والوعادات التي كانت تستهوي عُقول العامة والخاصة من أفراد المجتمع كزردة (ابن جلول) التي تحدّثت عنها الصحيفة في أعداد كثيرة، وقد تولى الرّد على عوادي المبتدعين وممارستهم البالية التي الصقوها بالدين وغلوثوه بها (الشيخ المبارك بن محمد

أيضا بلغة العقل وليس بهواجس العاطفة التي لا يستطيع المرء فيها امتصاص شحنات التقيّم الأخلاقي والايديولوجيا ولا التحلي بروح الموضوعية لتبين لنا أنّ تلك الجرائد التي استطاعت الجمعية أن تُؤسسها وتُوقع شهادة ميلادها وهي في مرحلة ذروة نشاطها الإصلاحي لم تكن لتؤثر فكريًا وثقافيًا على أفراد المجتمع الجزائري بالشكل الذي يُكثّب عنه البعض، فحتى لو تجاهلنا التعسّف الذي قابلت بها السلطات الاستعمارية الجمعية وقبلنا سلفًا أنّها عرفت إقبالًا من بعض المُتديّنين ممّن لهم نصيب وافر من العلم واستأثرت باهتمام المُفكرين والمُثقفين بالثقافة العربية فإن الأمر لا ينطبق على العامة الذين كانوا يعيشون وضعًا مازوم وفترة زمنية شهدت البلاد فيها انهيارًا في جميع نواحي الحياة وبشكل أخص الصعيد الثقافي الذي ميّزه التقليد والجُمود.

وللتدليل على هذا الكلام سنضرب مثالًا بجريدة يُشير إليها الكثير من الكُتاب على أنّها هزّة للقلوب ويقظة للعقول وهي جريدة "المنار" التي تأثر بها الكثير من العلماء التّوابغ المُقتنعين بالتّيّار الإصلاحي في شمال إفريقيا والحجاز والشام وسجّلت حضورًا لسنوات مُتتابة في معظم أوطان العالم الإسلامي حيث كانت أول صحيفة إسلامية تُورع على مستوى عالمي<sup>(٢٤)</sup> يُطبع منها ألف وخمسمائة نسخة وتُرسل إلي دول عربية أخرى لم تلتقى رواجًا إلا بعد خمس سنين<sup>(٢٥)</sup> فكيف الحال بجريدة الضراط أو السّنة أو الشريعة التي تُغلق بعد أمد قصير وتصدر منها أعداد قليلة وتُنسخ منها نسبة ضئيلة تُباع أكثريتها في أكشاك المُدن على قلّتها مُقارنة مع عدد الجزائريين الذين كانوا يُقدرون بما يقارب السّنة ملايين نسمة ونيف أكثريتهم أميين بحُكم أن الاستعمار منعهم من أنوار العلم، وبطبيعة الحال كلامنا هذا الذي نُحاول من خلاله وضع الضّحف الإصلاحي الإسلاميّة التابعة للجمعية في الميزان مُقارنة طبعًا بما كان يطبع مُعظم الجزائريين من فكر خافت فالقول بمحدودية تأثير الصحافة لإصلاحية المكثّوبة مُمثلة في جرائد الجمعية ليس له خلفية الانتقاص من جهود ابن باديس والفريق العامل معه ممن آزره وكانوا إلى جنبه في مسعاه، فمبادرتهم تُعدّ حقيقة نشاطا محمّودا كونها حلقة من حلقات سلسلة التّصال بما تنشره من مقالات تُدافع عن حرّية الشعب واختياراته وتجهز بمطالبهم وتسهم كذلك في تصحيح عقيدته التي غلّوت بالبدع وأيضا في توجيه الرأي العام بالجزائر توجيهًا سليماً فكل هذه الأمور تُعطينا صورة وانطبأًا حنين عنهم ما دام ذلك كان يُعدّ جرأة حينذاك على سلطات الاستعمار التي هتكت حُقوق

توجّهت الجمعية بصحائفها تلك إلى السواد الأعظم من أفراد المجتمع الجزائري لتنتشلهم من عُزلتهم وتُعلمهم بما يجري في بلادهم من أحداث وتُطلعهم على ما يستجدّه العالم الإسلامي من أمور، كان المُقبلون على انتقائها قليلون وبالخصوص في الأماكن البعيدة عن مواطن الحضّر فالقرّاء الذين لا يتجاوزون الألفين لم يكونوا يُمثّلون إلا وسطا محدّودا معزّولا عن الجماهير الشعبيّة.<sup>(٢٦)</sup>

كما أنّ الحديث عن التأثير البارز لُحف الجمعية على المجتمع الجزائري خاصّة تلك التي صدر منها أعداد قليلة جدًا يُعدّ موضع تساؤل فكيف لها أن تبعث شعبا من سباته الذي طال أمده ليفرض وجوده ويفتّك حرّيته ممن سلبها منه بمجرّد قراءتها والاطّلاع على أخبارها، وحتى لو سلّمنا بأنّ هناك من يقرأها على الأميين الذين تجذّر فيهم الجهل ويُناقشون ما يرد في المقالات من أفكار لمحاولة فهم أبعادها إلا أنّ الذهنيّة والعقليّة التي كانت سائدة آنذاك لا تنخرط هكذا وببساطة بعالم الحداثات الفكرية ونُظم الأفكار التغييرية، لما كانت تتسم به من سطحية وانغلاق، ضف إلى ذلك الصراع الذي كان ناشئًا بين النُخب الدينية والسياسية وغيرها من النُخب الأخرى وتهجّم بعضها على البعض الأخر الشاهد على ذلك الصراع شتات فكر مُمثلةا إذ أنّ كلّ منهم يرى الخطاء فيما يراه الأخر صوابًا، ما جعل الإصلاح كتيّار فكري تجديدي لم تتفق الآراء حول صيغته الثقافية التي يُمكن أن تلتقى قبولا عند الكل ويطمئن إليها الجميع وهذا أسفر إلى حدّ ما عن فقدان معظم أفراد المجتمع الجزائري للثقة في تلك النُخب التي تُنصب نفسها وصيّة على الشعب وناطقة رسمية له، فشاع عندهم فكرة أنّ نشاطهم شكلي لا جدوى منه ما دامت الأوضاع على حالها لا يتغيّر منها شيء.

ثم إنّ الأمر الذي نراه كلاما مشوّبا بالعاطفة هو الذي يتحدث فيه البعض عن أنّ جرائد الجمعية كانت السبب في تحرير الوعي الجزائري وهي التي قوّضت الحواجز التي تسدّ مُستقبله وتُعرقل سيره نحو النُهوض وأنها كذلك عتبه أفضلت إلى التّحرّر الفكري مُتناسين ومُتجاهلين الطُروف المجتمعة التي كانت تمرّ بها الجزائر على كل الأصعدة لتغيّر أهداف وطموحات واهتمامات الشعب، فلو تعاملنا مع الواقع كما كان وراعينا الحقائق المُتعلّقة بالشعب الذي كان يعيش في بلاد سُدّ فيها المُستقبل أمامه كون الفرد يُولد والتشاؤم يملأ أعماقه وروحه لأنّه يفقد الدوافع الوجودية الباعثة التي تُتيح للإنسان أن يُكرّس نفسه للحياة أو الموت من أجل شيء مُعيّن، وكتبنا

## الاحالات المرجعية:

- (١) عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في مواجهة الاختراق الصهيوني، القاهرة، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٦م، ص٣٧.
- (٢) محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، الجزائر، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٨٤م، ص٢٤.
- (٣) محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وأعلامها، الجزائر، ش-و-ن-ت، ١٩٧٨م، ص٥٧.
- (٤) عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر (١٩٥٤-١٩٦٢)، القاهرة، معهد الدراسات العربية، ١٩٧٨م، ص٧٨.
- (٥) رايح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح في الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال ط١، ٢٠٠٢م، ص٤١.
- (6) Claude Collot, Le Régime juridique de la presse musulmane algérienne, Revue Algérienne des sciences économiques et politiques, Alger, volume1, 1969, P. 396.
- (٧) نصير بوعلي، "تجربة الصحافة الإصلاحية في العالم العربي"، مجلة المعيار، الجزائر، دار الهدى، العدد ١٣، ٢٠٠٦م، ص٢٥٥.
- (٨) نفس المرجع، ص٢٥٦.
- (9) Zahir Ihaddaden Histoire de la presse indigène en Algérie des origines jusqu'au 1930, Alger, le prise nationale du livre, 1983, P. 61.
- (١٠) أنور الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية، لبنان، دار الأنصار، بدون تاريخ، ص٦١.
- (١١) رايح تركي، مرجع سبق ذكره، ص١١٧.
- (١٢) محمد الحسن فضلاء، مجموعة جريدة البصائر-لسان حال ج ع م ج -، الجزائر، دار البعث للنشر والطباعة، ج١، ١٩٨٣م، ص٢.
- (13) Zahir Ihaddaden, Op.Cit, P.261.
- (١٤) محمد لحسن فضلاء، مرجع سبق ذكره، ص٩.
- (١٥) عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات التحريرية الأخرى، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والاتصال، ١٩٩٦م، ص٧٦.
- (١٦) رايح تركي، مرجع سبق ذكره، ص١١٨.
- (١٧) محمد الحسن فضلاء، مرجع سبق ذكره، ص٦١.
- (١٨) توفيق العاني، الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م، ص٧٠.
- (١٩) أحمد الخطيب، مرجع سبق ذكره، ص١١١.
- (٢٠) محمد الحسن فضلاء، مرجع سبق ذكره، ص١-٣.
- (٢١) مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع، ١٩٨٦م، ص٢٤.
- (٢٢) العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، ١٩٨٥م، ص١٤.
- (٢٣) شارل روبيير اجرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة: عيسى عصفور، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط٢، ١٩٨٢م، ص٣٣٩.
- (٢٤) محمد منير حجاب، الإعلام الإسلامي (المبادئ، النظرية، التطبيق)، القاهرة، دار الفجر للنشر، ٢٠٠٢م، ص٣٨٥.
- (٢٥) أنور الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص٣١.

الأفراد وأضرت بهم لمنعها إتهامهم من خربة التعبير التي تُمثّل عنوانًا وشرطًا من شروط تغيير وتطوير المجتمع كلّ.

## خاتمة

بعد ما تم عرضه يتبين بشكل جلي أنّ الجرائد الإصلاحية التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين في ظروف قاسية جدًا بصرف النظر عن قوة التأثير أو ضعفه تُعدّ مرجعًا من مرجعيات العظة العقلية والروحانية وكذلك غطاءً واقياً من تظليلات وتطلّعات الايدولوجيا الاستعمارية لصيها كل الاهتمام على نشر الوعي الديني وأخبار العالم الإسلامي برؤيته، وكذلك لدعوتها أفراد المجتمع الجزائري إلى الدفاع عن ثوابته وقيمه وأصالة تراثه بنشر المقالات والخطب التي تُهَيِّئهم نفسيًا للتخلّص من سيطرة موجة الفرنسة والتغريب ويهتدي إلى الطريق الذي يُمكنه من الخطو بخطوات ثابتة نحو النهضة يكون أساسها العلم الصحيح والإيمان بالذات والعودة إليها، فمن هذا الجانب لا يمكن بأي حال من الأحوال الانتقاص من قيمتها في قلب الموازين لصالح المبادرين بها ضد الاستعمار وأذنبه بسلاح الكلمة المكتوبة وما لها من مفعول في إقناع الفئات العريضة من الشعب بضرورة التغيير وبتحميلهم نصيبًا من المسؤولية في الاضطلاع بدور هام في التخلّص من حالة الغيبوبة بمعناها المطلق والدخول في مرحلة جديدة يُعاد فيها بعث الجزائر بعد أن تردّت إلى القاع السحيق في شتى ميادين الحياة.